

التنمية في فكر مالك بن نبي

أ / العابد ميهوب — قسم العلوم الاجتماعية

جامعة زيان عاشور / الجلفة

تمهيد:

يجمع أغلب المنظرين في علم الاجتماع والاقتصاد على أن التنمية هي عملية تغيير موجهة ومعقدة وشاملة تضم كافة جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية والإيديولوجية، وتستهدف إحداث تغييرات بنائية ووظيفية في المجتمع، وسعيا لتحقيق أكبر قدر من الرفاهية للإنسان. فقد أفلحت في استقطاب اهتمام المفكرين والعلماء والفلاسفة منذ عصور قديمة لدراساتها وتحليلها بهدف الكشف عن آليات التغير وأساليب التنمية. وكانت هاته التصورات رؤى ووجهات نظر شخصية لتناول مشكل التنمية ومعرفة مداخلها العلمية والمنهجية بغية استثمارها في واقع المجتمعات مواصلة لعملية التقدم و التطور أو استنهاضا للواقع المتخلف.

ونحاول في هذه الدراسة أن نقدم وجهة نظر أحد مفكري العالم العربي والإسلامي الذي حُضي فكره بالدراسة في كافة جوانبه، إلا أن الجانب التنموي منه بقي مجهولا لدى الدارسين على مستوى التخصيص و التدقيق، نقصد بذلك المفكر " مالك بن نبي " الذي عالج مشكلة العالم العربي والإسلامي في إطار (مشكلات الحضارة) انطلاقا من تشخيص فكرة التخلف وربطها بالاستعمار، وصولا إلى بناء الحضارة متأصلة في مرجعياتها، وأسسها، ومكتسبة لمناعة ضد التغريب أو المسخ، ومنبثقة عن محفز ديني يتوافق والطموحات الاجتماعية والمسااعي ذات الأبعاد الإنسانية في صياغها الحضاري الناشئ والمنتظر، هي مشهد آخر مختلف، و متألق ذو خاصية إسلامية مطبوعة ومتفتحة على حضارات أخرى في نطاق التبادل الإيجابي دون الانصهار فيها، أو محاولة تقليدها، والانسلاخ عن هويتنا، ومرجعياتنا.

و تحاول هذه الدراسة أن تجيب عن التساؤلات التالية :

- 1 — ما هي أسباب التخلف و مظاهره ؟
- 2 — ما هي مقومات التنمية في فكر مالك بن نبي و ركائزها ؟
- 3 — ما هي رهانات التنمية عند مالك بن نبي ؟

1 - أسباب التخلف في فكر مالك بن نبي: تحاول طائفة من الباحثين معالجة قضايا التنمية والتخلف من المنظور الاقتصادي الخالص، من خلال تحديد متغيرات التطور والتقدم في الدول المتقدمة، لكن المقاربة التي قدّمها المفكر (مالك بن نبي) في هذا الموضوع أضافت إلى الطرح التي قدّمته نظرية التنمية في العالم المتقدم التي ركّزت على الجانب المالي إلى دراسة و تحليل الإنسان نفسه، وقد أرجع مالك بن نبي أسباب التخلف إلى العوامل التالية :

1 - 1: القابلية للاستعمار: أشار مالك بن نبي إلى مفهوم " القابلية للاستعمار" كمفهوم تحليلي لواقع المسلمين ما بعد الموحدين عموماً و ذلك بسبب التخلف الذي عمّ في بلاد. فقد استكان المجتمع إلى الراحة والدعة، ولا ترجع هذه الحالة الانهزامية إلى الاستعمار بل هناك كما يقول مالك بن نبي: " معاملة آخر ينبعث من داخل الفرد، الذي يقبل على نفسه تلك الصبغة، و السير في تلك الحدود الضيقة التي رسمها الاستعمار و حدّد له فيها حركاته و أفكاره و حياته " و يضيف في معرض تحليله أن انحطاط الأمة منذ عهد الموحّدين هو الذي أدّى إلى بـ "القابلية للاستعمار، ليس من شك بأن تلك الأفعال الاستعمارية من اقتلاع وتدمير وتغيير وتغريب كانت لها الآثار السلبية والتخريبية على المجتمع والإنسان الجزائريين في مختلف الأبعاد الأخلاقية والنفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية... الخ¹.

1 - 2 - عدم الفعالية: وكان من نتائج هذا الانقسام الأخلاقي، أن المسلم يحمل أفكاراً صحيحة ولكنه لا يستطيع تطبيقها في دنيا الواقع، بفعل الخمول لأن البيئة التي تحيط به وتغذيه بتقافتها أصبح مثلها الأعلى هو الزهد والصوفية، ولا يتمثلون بعمر بن الخطاب أو بعبد الله بن المبارك أو الإمام مالك، (والمسلم في هذه الحالة إنما يغالط نفسه، فيهرب إلى هذه التعليقات الصوفية الكاذبة² وفي المقابل، نجد عند الغربيين أفكاراً قد لا تثبت أمام النقد الموجه لها ولكنهم استخدموها إلى أقصى ما يستطيعون، مثل : (فكرة التقدم)، والمسلم يحمل القرآن ولكنه لا يستفيد منه كثيراً في التخطيط لنهضة قادمة، فعقلية ما بعد الموحدين تشله عن الإبداع ، لأنه لم يكن على المستوى الثقافي الذي يحيط الاختراع بالرعاية، أمثلة على هذا الخل:

1- ذهان السهولة (مرض السهولة): يميل المسلم في تقويمه للأشياء إما للغلو فيها أو للحط من قيمتها ويتمثل هذا في نوعين من الأمراض: فإما أن الأمور سهلة جداً ولا تحتاج إلى تعب وكد فكر، والحل بسيط وإما أن الأمور مستحيلة، وأبرز مثال على مرض (السهولة). وهناك من يظن أنه بخطبة رنانة تحل مشاكل المسلمين، وبعضهم يكره أن تدعوه إلى تفكير عميق في موضوع ما من الموضوعات لأنه يؤثر السهولة ويكتفي بتفسير سطحي، وعندما تخطط السياسة طبقاً لمبدأ السهولة فإنها سوف تجتذب إلى تيارها كثيراً من الناس ذوي النوايا الطيبة، الذين يقدرّون الأشياء بناء على سهولة الحاضر لا على صعوبات المستقبل³. وأيسر طريق لأصحاب السياسات

الانتهازية أن يستخدموا كلمات مثل: الاستعمار والإمبريالية والوطنية؛ للتغريب بالشعوب، هذه الكلمات التي (تليق جداً لتشحييم المنحدر حتى يكون الانزلاق عليه نحو السهولة ميسوراً جداً)⁴.

2 - ذهان الاستحالة(مرض الاستحالة): وقد يحدث العكس، فيرى المسلم أن الأمور مستحيلة ويقف أمامها عاجزاً، وهي في الحقيقة غير مستحيلة ولكن ربما يضخمها عمداً حتى لا يتعب نفسه في الحل، أو أنه يشعر بضالة نفسه وصغر همته فيحكم عليها بالاستحالة، وقد مرت فترة كانت بعض الشعوب تنتظر إلى صعوبة إخراج المستعمر من بلادها⁵. وقد تجد اليوم بعض المسلمين الذين ينتظرون (معجزة الرجل الوحيد) كأن يأتي صلاح الدين آخر ليوحد المسلمين من جديد، ويعتقدون استحالة أية محاولة لاستئناف حياة إسلامية.

1 - 3 : عدم توازن آليات التبادل التجاري: تعمل الدول الرأسمالية على استغلال الدول المتخلفة من خلال ربط اقتصاد الثانية بالأولى، حيث تحاول الإمبريالية والطبقات الحاكمة المحافظة على اقتصاديات بلدان العالم الثالث، واستمرارية الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الراهنة في البلدان النامية. وذلك حتى تبقى هذه الدول مستمرة في القيام بدورها كمنتج للمواد الخام اللازمة للصناعات الغربية، كما تعترض الدول المتقدمة أن تتحول الدول النامية إلى مصنعة وتنمية نفسها ذاتياً، لأن ذلك يقلل اعتماد الدول النامية على الدول المتقدمة في تصريف المواد الخام التي تنتجها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يؤدي إلى تقلص دور البلدان النامية كسوق لتصريف المنتجات الأجنبية . و في ذلك يقول مالك بن نبي: " فمثلاً ليس هناك أي سبب ظاهر لأن يكون سعر الحلفا الجزائرية أقل ثلاثين أو أكثر من سعر منتجاتها _ عجينة السليلوز و الورق _ المصنوعة في انكلترا"⁶.

1 - 4 : الميل إلى التكديس : يعترى الإنسان العاجز مرض نفسي يتمثل في التكديس، ذلك أن إنسان الكتلة يعتقد أن المخرج من الأزمة الممتدة في ضميره تكمن في نقص الأشياء، لذا لجأ إلى تكديس أغلب الأشياء والذي هو ظاهرة عامة في العالم الإسلامي، فكم من ورشة ومؤسسة تعمل على جلب الوسائل الحديثة، لكن بدل استغلالها في مشاريع تنموية، تقبع في مستودعات ومخازن، تفقد قيمتها يوماً بعد يوم. وقد حذر " فرانسيس بيكون " المجتمع البريطاني من داء التجميع والتكديس واعتبره أحد أوهام العقل، وأبرز سمة مرضية في نفسية إنسان العصور الوسطى، ولقد شبه بيكون العملية التكديسية بالتجميع النمل، ذلك أن النمل يعمل على تكديس المواد دون بنائها في حين أن النحل يبني ثم يكس. والتكديس كسلوك مرضي لا يحل المشكل بقدر ما يزيد في عمق التخلف، وتدهور قيمة الإنسان مهما كانت منزلته الاجتماعية.

1 - 5 : الذرية : هي نزوع العقل إلى التجزئة والذرذرة الفكرية، وتصبح المشكلات العامة مجرد أجزاء مفككة، كل جزء قائم بذاته في تصورات العقل، وبالتالي تغدو مجرد أكوام، تفقد

صورة التكامل وتبتعد عن منهج التركيب المتألف. إن الذرية علامة من علامات عجز العقل أو أزمته، والعجز أدق من الأزمة، لأن الأزمة قد تكون حاضرة حتى في مرحلة قوة العقل وشموليته، لكن العجز مرتبط بالانحطاط. ويذكر مالك بن نبي أن المستشرق الإنجليزي "هاملتون جب" أستاذ بأكسفورد، اتهم العقل الإسلامي بالذرية في كتابه (LES TENDANCES MODERNES DE L'ISLAM) ومالك لا يوافق جب في جوهرية الذرية في العقل الإسلامي، لأن الذرية حالة من حالات كل عقلي، تتجلى في مرحلة البداوة والبدائية التي تصيب الكائن الحضاري وفق مبدأ الحتمية التاريخية.

ولم تستطع النهضة تعديل العقل أو إصلاحه، بل العكس تماما وقع العقل الإصلاح في الذرية، كما نلاحظ ذلك عند محمد عبده ومحاولة الاستجداد بالعقل الكلامي لفهم قضايا عصرنا. والذرية رغم كونها مجرد عرض إلا أن الفكر الإسلامي لم يستطع التحرر منها، قياسا بالعقل الياباني الذي عدلها في غضون نصف قرن من عمره الحضاري، يقول مالك بن نبي: «فلن يكون هذا العجز سوى عارض خاص بعقل مابعد الموحدين، ولم تستطع - الاستطاعة عند بن نبي تكمن في التفعيل - الحركة الحديثة أو حركة الإصلاح تعديل الاستعداد العقلي في هذه الناحية تعديلا جوهريا».

1 - 6 : الاغتراب و الانبهار بالغرب : تعمل النظريات الغربية في مجال الفكر التتموي ذات العلاقة بالظاهرة الاستعمارية على تكريس الاغتراب والانبهار بمنتجاته وفتوحاته الثقافية، فتذهب من خلال نظرية الانتشار الثقافي أن التنمية يمكن أن تحقيقها من خلال العناصر المادية والثقافية السائدة في الدول المتقدمة إلى الدول النامية. وتنمية القدرة على التقمص العاطفي التي يقترحها " دانييل لرنر " تلك القدرة التي تمكنه من اكتساب كل ما هو جديد، كما أن وسائل الاتصال وانتشارها في المجتمع و تعرض الأفراد لها يعد مؤشرا منت مؤشرات التحديث.

يرى ابن نبي أن كل من دعاة الإصلاح والتحديث اتفقا على تجاهل واقع أمتهم كنقطة انطلاق أساسي لبناء مشروعيهما النهضةيين، فعاد دعاة الإصلاح بأفكارهم إلى الماضي للتشبث به والدفاع عنه من دون تمحيص ولا نقد، وتمثل دعاة التحديث مذاهب فكرية غربية لها واقعها الخاص الذي نشأت فيه. وهو ما أدى إلى التلفيق والفوضى أحيانا وإلى اصطدام الجهود أحيانا أخرى مما عرقل السير في طريق النهوض.

2 - مظاهر التخلف: وقد حدّد مالك بن نبي مظاهر التخلف التي اتسم بها إنسان ما بعد الموحدين والانحدار الحضاري إلى مجموعة من الأعراض نذكر منها:

2-1 : غياب عالم الأفكار: حين يصاب المجتمع بحالة التخلف والركود يكون في ذلك الوقت عالم الأفكار منعماً أو طغيان أفكار دخيلة عن النسق الاجتماعي الأصيل، فلا يستطيع الإنسان القيام بعمل مثمر حين يكون عالم الأفكار لا يساعد على النشاط والابتكار والفاعلية، فيسكن الإنسان في ماضيه بعيداً عن مقارنة الواقع ومناكفته. ويرى مالك بن نبي أن أهمية الأفكار في حياة مجتمع تتجلى في صورتين فهي إما أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممرضة، تجعل النمو الاجتماعي صعباً أو مستحيلاً⁷. ذلك أن النشاط الإنساني داخل المجتمع هو انعكاس لعالم الأفكار، وعملية التنمية متوقفة على طبيعة الأفكار التي يحملها الأفراد، فإن مالك بن نبي يرى أن ما يسود العالم الإسلامي من اختلاط وفوضى في الميادين الفكرية والخلقية أو في ميادين السياسة، إنما هو نتيجة ذلك الخلط من الأفكار الميتة، تلك البقايا غير المصفاة، من الأفكار المستعارة التي يتعاضم خطرهما كلما انفصلت عن إطارها التاريخي والعقلي في أوروبا⁸.

2-2 : تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية : وهي حالة تنتج عن سيادة النزعة الفردانية التي عكست معيار القيم، وتعارض مصالح الأفراد والجماعات فيما بينها الذي أحدث الاصطدام الداخلي وقضى على العمل التكاملي الجاد وأدى إلى إهدار الكثير من الطاقات الاجتماعية وصرفها فيما لا جدوى منه. وحين ترتخي شبكة العلاقات الاجتماعية في مرحلة الانحطاط الحضاري، وتكون بذلك عرضاً من أعراض التخلف الذي يسود المجتمعات المتخلفة و تذوب فيه الأفكار البناءة والفاعلة.

2-3: فوضى الأفكار والتكديس: فالمجتمعات النامية هي التي تحقق الانسجام والتوازن بين عالم الأفكار والأشياء والأشخاص، لكن فوضى التكديس والنزعة الذرية والخلط في عالم الأفكار هو ميزة البلدان المتخلفة. والتكديس ظاهرة اجتماعية تظهر في المجتمعات في مراحل تخلفها، لأنها في هذه المرحلة لا تفكر ولا تنظم أعمالها طبقاً لأفكار وقوانين، وإنما تكّدس الأشياء⁹.

فالمجتمعات التي دخلت في مراحل التخلف الحضاري، تختل الموازين عندها وتحصل الفوضى، فتسيطر الأشياء على الإنسان، ويرتد المجتمع إلى المرحلة الطفولية، فتستمرئ السهولة وينزلق الإنسان نحو الشهوات والأشياء، فيغرق بذلك المجتمع في فوضى الأشياء والأفكار والتكديس.

2-4 : الشيئية: للشيء حضور قوي وسحر في الذات، لتعلقه بالذات والشهوات، وسد الحاجات الملحة، كما يعد عند الشعوب ذات البعد الواحد معيار القوة والحضارة، والسلوك الاجتماعي عندما يطغى عليه الشيء ترى جميع الممارسات تحاول أن تركز عليه كمطلب وقاعدة. وغاية الشيء بكل ما يحمله من أبعاد يعود سلباً أحياناً على الإنسان وخاصة إذا أصبح محور تفاعلات الذات، والإنسان الجاهلي كان غارقاً في عالم الأشياء فتحول سلوكه إلى مادي

ولم يخرج نموذجه عن نطاق الشيء (فرس، امرأة، سيف، رمح، الخ). وعندما يفقد الإنسان السيطرة على الشيء يتحول فكره وسلوكه إلى النزعة التشتيتية، يصبح الكم اللغة السائدة والمعيار الناقد. ومثل جمال الدين الأفغاني في تصورات النزعة الشيئية حين انزلق فكره في عالم الأشياء، وأعتقد أن حل المشكلات الحضارية يكمن في الشيء. وابن نبي يحاول من خلال إبراز الشيئية كنزعة مرضية أن يلفت الانتباه أن الإنسان ليس كما ولا مادة، بل الإنسان جوهر روحي مادي. إن الإنسان ليس في نظر المسلم (الكم) الذي تجري عليه تجارب المخبر وعمليات المصنع وحاجات الجيش، فالإنسان ليس (الكم) بل (الصفة).

2 - 5 : الحرمان الاجتماعي : للتخلف مظاهر كثيرة وعديدة، وفي شقها الاجتماعي نلاحظ ظاهرة الحرمان الاجتماعي والذي يتمثل في عدم قدرة الفرد على التكيف مع الواقع من جهة، ومن جهة أخرى في عدم قدرة المجتمع على توفير الضمانات الاجتماعية للأفراد، ويتقرر على أساس كيفية تلبية الحاجّة كل أسلوب الاقتصاد، وإنما طبقا لطبيعة المال الذي يقضي نظاما خاصة بتوزيع محدود يحده الإمكان المالي، أو طبقا لإرادة حضارية تفرض شبكة توزيع شاملة تشمل السكان كلهم منذ اللحظة الأولى. فإذا تقرر هذا النوع الأخير لتلبية الحاجة، دون إخضاعها لشرط الإمكان المالي، نستطيع مبدئيا رسم شروط الديناميكا الاقتصادية في صورة مسلمتين :

أ/ لقمة العيش حق لكل فم.

ب/ العمل واجب على كل ساعد.

و بالتالي فإن الفرد في المجتمعات المتخلفة ما زال بعيد عن هاته المسلمة، المتأرجحة بين الحق والواجب في إطاره الاجتماعي ذو البعد الاقتصادي¹⁰.

2 - 6 : النزعة السياسية و فئة الانتقاليين وسلوك الاستبداد: إن احتدام الصراع بين مجموع الأفراد والساسة منذ القدم، ولم يستقم العمل السياسي والممارسة السياسية إلا من خلال الدساتير والمواثيق فقط، لكن عندما يكون الشعب في ذروة الحضارة. ولعل أبرز مؤشر لمعالم الانهيار يكمن في السياسة، أن مشكلة العالم الإسلامي بدأت حين وقع الشرخ في كيان المجتمع من حادثة السقيفة وصفين. إذ بدأت النزعة الاستبدادية تتجذر في أذهان الحكام ونفسياتهم، بل أصبحت الصورة النمطية للعلاقة بين الراعي والرعية يشوبها الغموض. ومجتمع مابعد الموحدين، مارس ساسته أشنع صور الاستبداد وغلبت المصالح الشخصية القيم الأخلاقية والإنسانية، وغدا المجتمع مذرذرا مفككا، تسوده الطبقية. وإذا ما تعذر هذا العامل، فإن القطيعة المعنوية سوف تعزل الدولة عن المواطن وتشل الطاقات الاجتماعية، أو تشتتها تشتيتا تكون نتائجه: عدم الانسجام وعدم التناغم. وعندما بدأت الشعوب تخرج من نطاق الأمية وتتخطى أو هام

العقل رويدا رويدا، بدأت الحرباء السياسية تتلون من جديد بألوان الإغراء والوعود، والشعارات البراقة، خصوصا حين ترفع شعارات خلافة وتصرح بوعود مغرية.

3 – مقومات النهوض التنموي: بعد أن شخّص مالك بن نبي أسباب التخلف و مظاهره التي تمحورت حول طبيعة الإنسان من جهة، عدم التحكم في آليات و متغيرات التنمية الحديثة من جهة أخرى، قدّم مالك بن نبي أسباب النهوض و مقومات المشروع التنموي التي لخصها في النقاط التالية:

3 – 1 : الاستثمار الاجتماعي مقابل الاستثمار المالي: وهي خاصية تتميز بها دول العالم الثالث المتخلف التي وجدت أنظمتها نفسها تعيش في بحبوحة من العيش بعد أن شكلت اقتصاد ريعي يعتمد على المال دون الاستثمار في الموارد البشرية التي أصبحت ميزة خاصة في دول المحور الآخر (واشنطن – موسكو) التي تحاول دوما أن تنمي الإنسان وتستثمر فيه، و أكثر من ذلك فهي تحاول أن تستقطب الكفاءات في الدول الأخرى من أجل تطوير ذاتها واقتصادياتها. لأن المال وحده لا يبني الدول بقدر ما يبنيه المجتمع بما يملكه من استعدادات ذهنية وعقلية، وهنا يتبادر إلى أذهاننا أمران:

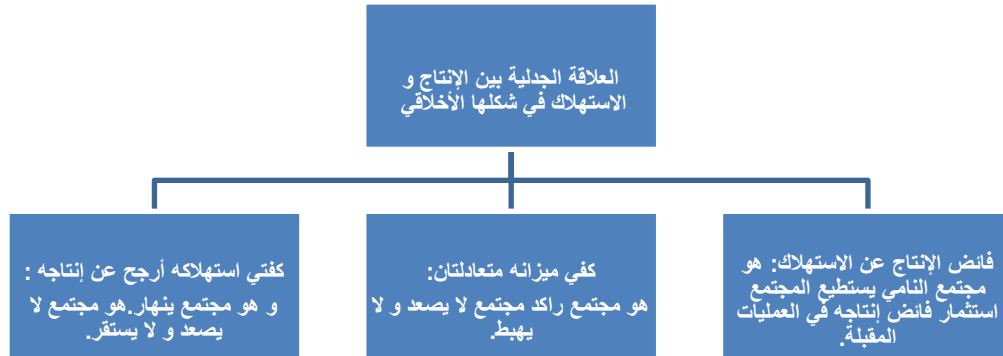
أ/ إن أمريكا لا تستطيع بإمكانها المالي أن تشتري مدينة نيويورك.

ب/ بينما تستطيع بإمكانها الاجتماعي بناء أو إعادة بناء مئات مدن مثل نيويورك¹¹.

بل أن المثل الأعلى الذي يقدمه مالك بن نبي في هذا المجال هو كيف خرج المجتمع الألماني من نكسة الحرب العالمية الثانية التي دمرت البنية الفوقية للأمة الألمانية ، لكن لما كان عالم الأفكار ومصدر ابتعاث القيم فيه مازال ينبض، فإن عملية الإحياء و إعادة الإبتعاث في ألمانيا لم يدم طويلا¹². و اعتمدت الصين على إمكانياتها البشرية في بناء الأمة الصينية، واستفادت من التجارب الفاشلة (تجربة التعدين)، حيث لم تقم بتفتيت التنظيم الاجتماعي السائد فيها منذ الكونفوشيوسية وهو (النمط الزراعي) الشيء الذي جعلها تتقدم بنسب متسارعة في اقتصادها مطبقة في ذلك خطط تنموية تعتمد على الذات وتستثمر في الإنسان الصيني والتراب الصيني والزمن المتوفر في كل أرض¹³.

3 – 2 : أخلة عمليتي الإنتاج والتوزيع: انطلق مالك بن نبي في نقد النظام الرأسمالي من خلال الأساس المذهبي لـ (آدم سميث) القائم على إرادة المال وفتح الباب على مصراعيه للرأسمالية المتوحشة على حساب المصلحة العامة في المجال السياسي والمصالح الخاصة بالمنتجين والمستهلكين، وتفكيك المجتمع وتقسيمه طبقيا باسم الحرية المالية من خلال مبدأ (دعه يعمل دعه يسير). جُبِل الإنسان فطريا على حب السهولة و إبتاع المنحدر إذا لم يكن له مدفوعا

إلى الأعلى بالقوة الضاغطة فالمسلم حين دخل المعترك السياسي لم يكن ليؤسس نظرة إستراتيجية شاملة لما بعد الاستقلال، فقد كان يطالب بحقوقه السياسية دون عمل واجباته الأخلاقية حينما كان يركض وراء استقلال لا تؤيده مقومات السيادة الحقيقية للشعوب. هذا العور والقصور تحدد معالمه الأساسية في الجانب الثقافي و في الأساس الأخلاقي. فالسياسة التي تبنى على أساس المطالبة بالحقوق دون العمل على تمكين المجتمع من القيام بواجباته هو انتحار حقيقي للمجتمع .



شكل يوضح: طبيعة العلاقة بين الأخلاق والاقتصاد في مجال الاستهلاك والإنتاج، المصدر: الباحث .

يقول مالك بن نبي في هذا الشأن فلو اصطالحنا على المدلول العام للمفهومين أن " الواجب" هو ما نعطيه مثلا للمجتمع، و أم "الحق" هو ما نأخذه ، و أنها يمثلان على محور القيم الجبرية قيمتين مختلفتي العلاقة على طرفي الصفر، لو اصطالحنا على ذلك لجاءت صياغة العلاقة بينهما في صورة معادلة: واجب+حق=0. وكذلك بالنسبة للاستهلاك والإنتاج: الإنتاج+الاستهلاك=0

هذه التجربة الإنسانية يجب أن تعيد للاقتصاد أخلاقياته و تتلافى الانحرافات الإباحية المتمثلة في الرأسمالية وورطة الماركسية المادية التي سلبت الإنسان ما يميزه عن الآلات والأشياء¹⁴. إن هاته المعادلة الرياضية ذات الطابع الثقافي بين الإنتاج والاستهلاك، هي علاقة أخلاقية اقتصادية تدل على حالات يحقق المجتمع إحداها حسب اتجاهه الثقافي.

3 – 3 : الأخذ بالمعادلة الاجتماعية للمجتمع: ركز مالك بن نبي كثيرا على التفريق بين

الإنسان والفرد في المثال الذي قدّمه عن الإنسان الألماني والإنسان الاندونيسي من خلال مشروع (الدكتور شاخت) الذي نجح في المجتمع الأول وفشل في الثاني، ذلك لأن المخطط

مستمد أساساً من تراب ألمانيا من جهة، لاستعدادات الشعب الألماني الذهنية والثقافية ومن جهة ثانية. فنجاح الخطة في ألمانيا بسبب الأخذ بالمعادلة الاجتماعية التي تختلف عن غيرها من المعادلات الاجتماعية الأخرى من حيث الزمان و المكان و التراب . فتعثر التجربة الاندونيسية كان بسبب الخطأ في تقدير المعطيات البشرية في المجال الاقتصادي التي حاول فيها (شاخت) أن يسقط التجربة الألمانية على الواقع الاندونيسي، بينما الواقع الإنساني لا يفسر على أساس معادلة وبعد واحدة بل حسب المعادلتين:

أ/ معادلة اجتماعية: تختلف من مجتمع إلى آخر، وفي مجتمع واحد تختلف من عصر إلى آخر حسب الاختلاف في درجة النمو والتخلف.

ب/ معادلة بيولوجية: تسوي بين الإنسان وأخيه في كل مكان ليستطيع هذا كل ما يستطيع الآخر، إلا فيما فضل فيه بعض الأفراد عن الآخرين¹⁵.

وكحل لهاته المعضلة يطرح مالك بن نبي هذه المعادلة الاجتماعية في صيرورة تاريخية ليستنتج أن التجارب الشخصية واستثمار المنجز الإنساني في الحضارات الأخرى هو العامل الوحيد لإنجاح الخطط الاقتصادية. فيرى أن المجتمع الغربي عموماً قد صاغ معادلته الاجتماعية — وما زال — بتدرج الأيام والسنين، بينما المجتمع الصيني فإنه يصنعه اليوم بيده، تحت إشراف إدارة متوترة تحت ظروف قاسية، كما هو الحال في المجتمع الياباني. أما المجتمع الإسلامي فهو في حيرة بين أمرين:

أ/ إما أن يترك الأيام تصوغ معادلته الاجتماعية أو تعيد صياغتها لتمكينه من مواجهة التحدي الذي يوجهه له عالم اقتصادي غريب عنه، وهذا طريق طويل تعبده تجارب ومحن المجتمعات الأخرى.

ب/ إما أن تطرح المشكلة صورة منهجية مثلما فعلت اليابان والصين، أو مثلما فعل (تايلور) ومدرسته في الغرب الذي اكتملت معادلته الاجتماعية في صورة النظرية التايلورية¹⁶.

3 — 4 : ضرورة الاكتفاء الذاتي: إن التكتل في إطار محور (طنجة — جاكارتا) ضرورة يملئها المصير المشترك لهاته الدول، فالإكتفاء الذاتي يتحقق في إطار أمة واسعة عربية أو إسلامية، وهو نفسه الشعور الذي كان تهدف إليه أوروبا من خلال السوق الأوروبية المشتركة أو الإتحاد الأوروبي الذي استمدته من (شارلمان) أو ما يسمى "بالإمبراطورية المقدسة"، أو كما كانت عليه دول أوروبا الشرقية في إتحادها مع الإتحاد السوفياتي سابقاً، لكن على المجتمع العربي الإسلامي أن يأخذ في عين الاعتبار ضرورة الاستقلال الفكري عن الغير. مع الأخذ في الحسبان حدود الإمكانيات الفردية لمواجهة الضرورات الداخلية والخارجية. والأخذ بالتجارب

الأخرى للمجتمعات، فنحن لا نملك شروط (الاقتصاد التكاملي) أي أن نستهلك ما ننتج دون الحاجة الى الغير كما هو الحال في أمريكا والصين وروسيا بدرجة أقل، فمالك بن نبي يرى أنه من الواجب تنظيم حياتنا الاقتصادية، على شروط تحقيق حلقة اقتصادية كاملة داخل حدودها، متخذة أساسا شروطا الاستثمار الاجتماعي التي قدمناها في صورة مسلماتين ربما يكون تطبيقهما في حدود الوطن الواحد، على درجة الصعوبة، ولكنها تنخفض بمقدار ما تتسع رقعة التطبيق.

3 - 5: بناء شبكة العلاقات الاجتماعية: تعرّف بأنها: مجموع العلاقات الاجتماعية الضرورية التي توفر الصلات الضرورية داخل العوالم الثلاث: الأشخاص والأفكار والأشياء¹⁷.

ويعد بناء شبكة العلاقات الاجتماعية أول عمل تاريخي يقوم به مجتمع، إذ أن ميلاده مرهون باكتمال وتلاحم هاتيه الشبكة داخل النسق الاجتماعي في إطارها الاقتصادي والسياسي والثقافي. وتخضع فاعلية الأفكار - في أي مجتمع - لشبكة العلاقات الاجتماعية، فكما كانت أكثر متانة بين الأفراد، كان العمل فعالا مؤثرا¹⁸. ويستنتج مالك بن نبي فاعلية النشاط المشترك بين الأشخاص في المجتمع، والعلاقة بين هذه الشبكة وبين المجتمع " فإذا ما تطور مجتمع ما على أية صورة، فإن هذا التطور مسجل كما وكيف في شبكة علاقاته الاجتماعية في صورة توتر أو ارتخاء في التوتر، أو في تفكك الشبكة نهائيا عند مرحلة أقول المجتمع¹⁹.

ويعد تشكيل هاتيه العلاقة أول عمل يؤديه المجتمع من أجل قيام بمشروع تنمية أصيل تكون فيه طبيعة العلاقة بين أفراد المجتمع اللبنة الأولى في الاستئناف الحضاري، ولهذا يخلق الدين الإسلامي نظاما اجتماعيا يصير فيه الفرد إلى أفراد كثيرين، وتعد شبكة العلاقات الاجتماعية الأداة الجامعة لكل الطاقات الحية في المجتمع، ويتجلى هذا التماسك في صورة نشاط مشترك يقوم به المجتمع وظيفته تجميع هذه الطاقات الفردية لمصلحته بفضل هذه الشبكة.

3 - 6 : التنمية السياسية: وهذا يستدعي ضرورة مراجعتنا لتصوراتنا النظرية وسلوكياتنا العملية، اتجاه مسألتتي الحق والواجب، بحيث يجب أن نؤسس فلسفة نهوضنا على أساس القيام بالواجب عن قناعة والمصحوبة بالشعور بروح المسؤولية. وتحقيق انسجام عمل الفرد مع عمل الدولة من خلال العمل على رأب الصدع وتقليص الهوة الموجودة بين الحاكم والمحكوم بتوجيه نشاطات كل منهما إلى اتجاه موحد تتجانس فيه جهودهما وتتكامل، فالفعل السياسي لن يحقق نجاحه إلا إذا تبناه أفراد المجتمع، في إطار تعاون وتفاعل إيجابي بين عمل كل من الدولة والفرد. كما يجب ربط السياسة بالأخلاق والعلم، وذلك باستبعاد التحايل والخداع والمكر من الممارسة السياسية، وربطها بقواعد العلمة التي تراعي الجوانب الفكرية والنفسية والاجتماعية المعبرة عن خصوصيات الأمة. وبالموازاة مع ذلك يجب العمل على توفير الوقاية والحماية للمنجزات المحققة.

3 - 7 : إعادة الدور الاجتماعي للدين: يبني المشروع التغييري النهضوي عند مالك بن نبي على فكرة الدينية التي هي أساس كل تنمية في أي مجتمع، فالتنمية التي تستهدف تغيير الفرد من الداخل يجب أن تحتوي على روح دينية، وقد اهتم ابن نبي بالدين من حيث وظيفته الاجتماعية في صياغة الإنسان الحضاري، وبناء شبكة العلاقات الاجتماعية، وفي تكوين اللحمة بين عالم الأشخاص والأفكار والأشياء.

ومن هنا نجد أن الوظيفة الاجتماعية لدين تحقق في شكل تركيب يهدف إلى تشكيل قيم تمر من الحالة الطبيعية إلى وضع نفسي زمني ينطبق على مرحلة معينة للحضارة، وهذا التشكيل يجعل من الإنسان العضوي وحدة اجتماعية، ويجعل من الوقت الذي ليس سوى مدة زمنية مقدرة بساعات، تمرّ وقتاً اجتماعياً مقدراً بساعات عمل، ومن التراب الذي يقدم في صورة فردية مطلقة غذاء إنسان في صورة استهلاك بسيط، مجالاً مجهّزاً مكيفاً تكييفاً فنياً، يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة، تبعاً لظروف عملية الإنتاج. وتكمن قيمة الفكرة الدينية عند مالك بن نبي في وظيفتها الاجتماعية، لا في أصالتها الذاتية، ومن هذا المنطلق فرّق بين صدق الفكرة الدينية وفعاليتها، فالدين وإن كان صحيحاً فإنه يفقد فاعليته الاجتماعية بسبب الإنسان، وعلى العكس من ذلك يرى أن الدين وإن كان باطلاً فإن فاعليته تظهر حسب الإنسان الذي يحمله. ويدعو إلى ضرورة إرجاع الفاعلية الاجتماعية للعقيدة من خلال معالجة ظاهرة الانفصام المرضي الذي يعيشه المسلم المعاصر ولعل الحل يكمن في تأسيس علم جديد يسميه ابن نبي "علم تجديد الصلة بالله" وظيفته أن يشعر المسلم بوجود الله وليس أن يُبرهن له على وجوده.

3 - 8 : بناء الإنسان الجديد غير القابل للاستعمار: وتكمن وظيفة هذا الإنسان الجديد في التعرف على ذاته من دون نكران لها ولا تمجيد، وإنما بعقلانية الممحص والناقد الموضوعي، كما يجب عليه أيضاً أن يتعرف على الآخر من دون عقدة رفض ولا عقدة انبهار، وإنما بمعرفة موضوعية تظهر حقيقة الآخر بإيجابياته وسلبياته. ليجد بذلك مكانه المناسب في خريطة التطور الحضاري للمجتمعات والأمم. وبعدها يسعى لتعريف الآخر بنفسه، من خلال البحث عن آليات التواصل معه، ومحاولة معرفة حاجات الإنسانية لغرض خدمتها.

3 - 9 : تحقيق الفعالية: وذلك من خلال ربط الفكر بالعمل، فعلاج الجدل العقيم والخطابة الجوفاء يكون بالجمع بين العلم النظري والعمل التطبيقي أي ربط العلم بأهداف عملية معبرة عن متطلبات الواقع. لقد ركّز مالك بن نبي على بناء الإنسان الجديد القوي بمعرفته لذاته ولغيره والمدرّك لدوره والمؤمن بأهمية رسالته، ولا يكون هذا إلا بالتركيز على التجديد والتغيير فيما يتعلق بالجانب النفسي لأنّ معجزة التغيير مستوطنة في نفسية الفرد لا فيما يحيط به من وسائل مادية. وطريق النهضة حسب ابن نبي يمر عبر شارع الواجبات المقدسة في ضمير كل فرد من

أبناء الأمة، فالشعب الذي يريد التحضر يعمل ويجتهد في كل يوم وفي كل دقيقة وفي مختلف مجالات حياته. ودخولنا للمجتمع العالمي وضمن مكانة محترمة بين الأمم يفرض علينا أن نسلك طريقا جديدا لم يسلكه غيرنا وأن نقدم للإنسانية بعض الحاجات التي افتقدتها في عصر العلم والمادة رغم أنها في أمس الحاجة إليها. كما يجب أن ندرك أن كل فكرة تودع في التربة ستتحول إلى مشروع ثقافي مجسد في الميدان إن هي وجدت الأرضية الملائمة واللحظة التاريخية المناسبة.

4 - ركائز التنمية عند مالك بن نبي:

يؤسس مالك بن نبي لفكرة التنمية من مدخل متكامل يأخذ بالنظرة الكلية للمجتمع، ورفضاً للتفسيرات التجزئية والتبسيطية لها. وذلك أن المجتمع وحدة كلية تترابط أجزاؤها، و تتساند فيما بينها، ولا يمكن أن تفهم إلا من خلال علاقتها مع بالأعضاء الآخرين. أي أن فهم أي نظام أو ظاهرة اجتماعية إلا في ضوء علاقتها بالسياق الاجتماعي العام الذي توجد في إطاره، أي أننا عند دراسة ظاهرة التخلف لا بد من مراعاة كافة مكونات البناء الاجتماعي مثل البناء الديمغرافي، والنسق الإيكولوجي، والنسق الاقتصادي، والنسق السياسي، والنسق التعليمي، و النسق القرابي والبناء الطبقي... إلخ²⁰. وقد نقد مالك بن نبي المقاربات النظرية التي تأسست في أعقاب الحرب العالمية الثانية و ما قبلها، التي أنتجت المنظومة الغربية مفسرة و يحل واقع غربي يبحث عن أسواق تارة، و يبرر إستعمارات تارة أخرى. هذا وقد حاول تحليل أسباب إخفاق المداخل التنموية التي تبنتها الدول العربية والتي أرجعها إلى الأسباب التالية:

أ/ عدم تشخيص غاية النهضة بصورة واضحة .

ب / عدم تشخيص المشكلات الاجتماعية تشخيصا صحيحا.

ج/ عدم تحديد الوسائل تحديدا يناسب الغاية المنشودة و الإمكانات.

و يحدد مالك بن نبي شروط التنمية من خلال عوالمه الثلاث، فهي حجر الزاوية لإرادة التغيير، فلا طريقة سوى: الإنسان، والتراب، والوقت، وإرادته لتلك الحركة، فهذه هي رأسمال المبدئي وكل ما عدا ذلك: من القصور الشامخات، والجامعات والطائرات، ما هي إلا مكتسبات النهضة، وليست عناصر أولية لعملية النهضة²¹. و يضيف قائلا: "وليس من الضروري ولا من الممكن أن تكون لمجتمع فقير المليارات من الذهب كي ينهض، وإنما ينهض بالرصيد الذي وضعت العناية الإلهية بين يديه من الإنسان والتراب والوقت²² " والتنمية رهن بمدى فعالية الإنسان وحركته من أجل إنجازها ، وليست المادة وحدها العاملة على التغيير بل التركيبية الثلاثية بقيادة الإنسان، فإن " القضية ليست قضية أدوات ولا إمكانات إن القضية في أنفسنا، إن

علينا أن ندرس أولاً الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن؛ سكن المجتمع والتاريخ، ذلك ما تشير إليه النظرة في تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ، فنرى المجتمع حيناً يزخر بوجود النشاط، وأحياناً نراه ساكناً لا يتحرك يسوده الكساد وتغمره الظلمات، وهل هذه المظاهر غير تعبير عن حركة الإنسان أو ركوده²³.

4 - 1 : الإنسان : لقد بين ابن نبي أهمية الإنسان في التنمية، بكونه المحرك لعناصر النهضة الأخرى ولكن كيف تتحقق فعالية الإنسان في الحركة التغييرية، إنه يرى ذلك من خلال توجيهه في ثلاث نواح هي:

أ - توجيه الثقافة.

ب - توجيه العمل.

ج - توجيه الرأسمال.

ثم يبين مفهوم فكرة التوجيه بأنها " قوة في الأساس، وتوافق في السير، ووحدة في الهدف، فكم من طاقات وقوى لم تستخدم، لأننا لا نعرف كيف نستخدمها، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها، حين زحمتها قوى أخرى، صادرة عن نفس المصدر متجهة إلى نفس الهدف، فالتوجيه هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت، فهناك ملايين السواعد العاملة، والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل، المكون من ملايين السواعد والعقول، في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية، المناسبة لكل عضو من أعضائه، وهذا الجهاز حين يتحرك يحدد مجرى التاريخ نحو الهدف المنشود، وفي هذا تكمن أساساً فكرة توجيه الإنسان²⁴.

ويذكر ابن نبي أن النهضة في العالم الإسلامي بها منعطفات خطيرة، وأول شرط من شروط تحقيقها هو الإنسان الذي يتمثل فيه مفهوم التغيير قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) سورة الرعد، الآية: 13. وأول ما يراد تغييره هو منهجية التفكير وطريقته، وذلك عن طريق توجيهه الثقافي؛ لأن الثقافة: " مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها منذ ولادته كالأسمال في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته " ²⁵. ولكن كيف تعود الثقافة إلى العمل ضمن وظيفتها في التنمية ؟ يرى ابن نبي أنه لكي تعود لذلك فلا بد من تنظيفها من الانحراف، وذلك بتصفية العادات والحياة مما يشوبها من معوقات للنهضة، المتمثلة في المتعالمين. ويرى أن التوجيه مرتبط بالمفاهيم الفكرية المؤسسة على أصول ثقافية، والثقافة الإسلامية هي الأساس في كل تغيير، فلا بد من

التوجيه لأنه " ينبغي أن يكون المهمة الأولى في خطة النهضة الإسلامية، لأن تحقيقه هو الذي يوجد الشرط الأول لتحويل الجهود في نطاق هذه النهضة إلى جهود فعّالة " ²⁶.

4 - 1 - 1 : توجيه الثقافة: في حديث مالك بن نبي عن تكوين الإنسان، و تحت عنوان (توجيه الثقافة)، يتعرض لمدلولها فيقول... والثقافة من الأشياء الأساسية التي تتطلب بالباح تعريفًا بل تعريفين :

الأول : يحددها في ضوء حالتنا الراهنة .

الثاني: يحددها حسب مصيرها.

لأن جيلنا هذا حدّ فاصل بين عهديتين: عهد الكساد و الخمول، و عهد النشاط و المدنية ²⁷. لذا نرى مالك بن نبي يبحث عن أسس أية ثقافة من الثقافات، و ينتهي به المطاف إلى أن يحصر عناصر الثقافة في المبادئ التالية :

4 - 1 - 1 - 1 : التوجيه الأخلاقي : إن المقصود من التوجيه الأخلاقي هو تأثير العقيدة الدينية في مجال السلوك البشري إذ هي عنصر أساسي في الثقافة، من خلال تأصل غريزة الحياة في جماعة، بحيث يستخدم هذه الغريزة ويهديها ويوظفها بروح خلقية سامية، هذه الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض، تأتيها مع نزول الدين، ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضها ببعض ²⁸.

إنه يرى أن الدين هو الأساس الأخلاقي الضروري لعمل التنمية، لأنه منهج تغيير يوجد من المتفرقات تألف يعمل على بناء النهضة، وهذا واضح في الإسلام حيث عمل على تجميع الأنصار والمهاجرين، وتمّ ميلاد أول مجتمع إسلامي، أصبح كجسد واحد، وظهر ذلك من خلال اكتساب قيم جديدة. فهو يرى أن التغيير التتموي مرتبط بالتغيير الفكري، الذي له ارتباط بالمنحى الثقافي، المؤسس على أصول العقيدة الإسلامية.

4 - 1 - 1 - 2 : التوجيه السلوكي العملي: ويقصد به العقل التطبيقي الذي يجسد الفعالية في النشاط سواء على صعيد الفكر أو العمل، فالمجتمع الإسلامي الأول كان يعيش طبقاً لمبادئ القرآن، أمّا اليوم فهو يتكلم تبعاً لمبادئ القرآن، وذلك لعدم وجود المنطق العملي السلوكي ²⁹. فإن العقيدة الإسلامية لم يعد لها فعالية في سلوك الفرد ما كان لها من فعالية على عهد النبي (ص)، حيث يوجد انفصام بين العقيدة والسلوك " لا يحتفظ المسلم باستقلاله ابتداء من اللحظة التي يغادر فيها المسجد، فهو يسقط تحت سطوة قانون العدد، وبدلاً من أن يؤثر في الوسط طبقاً لمثله الأعلى ومبادئه، نجد أن الوسط هو الذي يؤثر عليه " ³⁰.

و يرى مالك بن نبي أن أساس النهضة هو تمثل العقيدة الإسلامية، وذلك بتحديد ما من خلال كونها مصدراً للثقافة الإسلامية، من خلال ربطها بالمفاهيم المنطلقة من الأساس العقائدي وتحويلها إلى منطق عملي لا عمل منطقي، فإنه في هذه الحالة نكون قد سرنا في الاتجاه الصحيح، وهو يرى أن من أسس و شروط التنمية: الإنسان والوقت والتراب ولكن لا بد من ربطها بالعقيدة الإسلامية فهو يرى "أن السبب في ذلك أن هذه العوامل الثلاث تتطلب إلى جانبها عاملاً آخر لا غنى عنه، وهو العامل النفساني، هذا العامل الذي يصطلح على تسميته بالعقيدة، فنحن إذن أمام قضية واضحة وضوحاً كاملاً، إن الشروط اللازمة لتكون النهضة موجودة بين أيدينا فعندنا أكرم العناصر الموجودة في العالم، وعندنا أخصب المساحات الترابية وعندنا الساعات الزمنية الكافية للإبداع والابتكار"³¹.

فالمسلم يقتل الوقت، والعلم، والمال، فكيف ينفق العلم ويستغل المال؟ ينفقها في وجوه غير فعالة، حيث العبيثية واللافعالية متجذرة في ذواتنا فالعالم الإسلامي اليوم يفتقد الضابط الذي يربط بين العمل وهدفه، وبين السياسة ووسائلها، وبين الثقافة ومثلها، وبين الفكرة وتحقيقها والسياسة تجهل الوسائل، والثقافة لا تعرف المثل العليا، وعندما أراد المجتمع أن يسير طبقاً لمبادئ القرآن فقد سار في الاتجاه المعاكس، حيث بدأ يتكلم تبعاً لمبادئ القرآن وذلك لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي، فليس الذي ينقص المسلم منطق الفكرة بل الذي ينقصه منطق العمل، فهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاماً مجرداً، فنحن نعيش في أحلام التغيير وينقصنا المنطق العملي³².

4 - 1 - 3 : توجيه العمل : يقصد مالك بن نبي بتوجيه العمل: سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد بما في ذلك جهد الراعي، والحرفي، والتاجر، والطالب، والمتق، والفلاح، لكي يضع كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء، فهو تأليف لكل هذه الجهود لتغيير وضع الإنسان وإيجاد بيئة جديدة فإن العمل مهم في تحقيق مصير الأشياء.

وتوجيه العمل ليس عنصراً أساسياً في المجال التنموي، ولكنه متولد من شروط النهضة الثلاث، فالخطب والمواظ لا تأتي ثمارها ما لم تتوج بالعمل، فالمسلمون بدؤوا يشيدون مسجدهم الأول بالمدينة حيث كانت أول ساحة للعمل، وهذا التوجيه المنهجي للعمل هو شرط عام أولاً، ثم وسيلة خاصة لكسب الحياة بعد ذلك، لأنه كلما تقدم التوجيه المثلث - توجيه الثقافة والعمل ورأس المال - للإنسان المسلم تغير وجه الحياة حتماً فيكتمل ويحتل مستوى أرفع³³.

4 - 1 - 2 : توجيه رأس المال : يرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي غني في المجال المادي من حيث التراب والمال حيث البترول الذي هو عصب أي تنمية، ولكن كل ذلك لا يمكن أن يركب عوامل النهضة إذا لم يوجه توجيهاً نابعاً من فكرة دينية تربط بين الفكر والعمل، وهو

يرى أن العالم الإسلامي يملك ثروة ولكنه لا يملك رأسمال، لأنه يرى أنه هو الذي يتحرك، ومن ثم يوجّه على أساس المنهج الثقافي المنتج، فهو يرى ارتباطاً بين توجيه رأس المال والمنهج الثقافي، فالمقصود من توجيه رأس المال هو إنه " لا يتصل بالكم، بل بالكيف، لتصبح كل قطعة مالية متحركة متقلة توجد معها العمل والنشاط، أما الكم فإن ذلك الدور الثاني دور التوسع والشمول³⁴. إذن فلا بد من تحريك المال وتنشيطه، بتوجيه أموال الأمة البسيطة، وذلك بتحويلها من ثروة مكدسة إلى رأس مال متحرك، ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد، فلا بد من منهاج يحدد تخطيطاً مناسباً نبني عليه حياتنا الاقتصادية.

4 - 2 : التراب : عندما يضع مالك بن نبي هذا العنصر لا يقصد منه دراسة خصائص التراب وطبيعته ولكنه يدرسه من خلال قيمته الاجتماعية، حيث تتحقق من خلال قيمة مالكيه، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة يكون التراب غالي القيمة، وعندما تكون الأمة متخلفة يكون التراب رخيص، ثم يضرب مثلاً من الجزائر، حيث موت الأرض الخضراء، وانتشار الصحاري وعدم فعالية الإنسان في مواجهتها؛ لتقاعسه عن العمل، ولذلك فهو يوجه الإنسان إلى العمل مع هذا العنصر الأساسي فيقول: " ومهما يكن من بدائية وسائلنا فإن علينا أن نعمل، فالعمل لازم لزوم دراسة طبيعة الأرض والمناخ، فإننا لن نستطيع أن ننقذ ذريتنا من الأجيال القادمة إلا بالعمل الشاق، وعندما تتحقق تلك المعجزة بانتصارنا على أنفسنا وعلى أهوال الطبيعة فإننا سوف نرى أية رسالة في التاريخ نحن منتدبون إليها، لأننا نكون قد شرعنا في بناء حياة جديدة ، ابتدأت بالجهود الجماعية بدل الجهود الفردية ، وسوف تظهر أمامنا بعد ذلك أعمال جليلة خطيرة ، ولكنها سوف لا تخيفنا ، لأن شعبنا أخضع التراب ، ومهد فيه لحضارته ، ولم يعد شعباً يخاف نواب الزمن³⁵.

4 - 3 : الوقت : يريد مالك بن نبي من خلال هذا العنصر أن تعود الأمة عملياً لإدراك قيمة الوقت وكيفية استغلاله، فالوقت " يتدفق على السواء في أرض كل شعب، ومجال كل فرد ولكنه في مجال ما يصير ثروة، وفي مجال آخر يتحول عدماً " ³⁶. فالعالم الإسلامي يعرف شيئاً يسمى الوقت الذي ينتهي إلى العدم؛ لعدم إدراك معنى الوقت ومعنى الزمن، لأن إدراك معنى الزمن يحدد معنى التأثير والإنتاج إذا دخل في تكوين الفكرة والنشاط، فالحياة والتاريخ الخاضعان للتوقيت الذي كان وما يزال يفوتنا قطارهما ، فنحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق، وخطوات واسعة لكي نعوض تأخرنا³⁷.

وذلك إذا حاول كل فرد منا " تخصيص نصف ساعة يومياً لأداء واجب معين فإذا خصص كل فرد هذا الجزء من يومه في تنفيذ مهمة منتظمة وفعالة فسوف يكون لديه في نهاية العام حصيلة هائلة من ساعات العمل لمصلحة النهضة الإسلامية في جميع أشكالها العقلية والخلقية والفنية

والاقتصادية والمنزلية، وسيثبت نصف الساعة هنا عملياً فكرة الزمن في العقل الإسلامي، أي في أسلوب الحياة في المجتمع، وفي سلوك أفرادها، فإذا استغل الوقت هكذا فلم يضع سدى ولم يمر كسولاً في حقلنا، فسترتفع كمية حصادنا العقلي واليدوي والروحي³⁸. وبذلك تتحقق النهضة والتنمية المطلوبة. وفي نفس الوقت الذي يؤكد فيه مالك بن نبي على أهمية عنصر الزمن في حركة التنمية وصعودها فإنه يحذر من الاستغراق في العمل والجهد من أجل الإنتاج، حتى لا ننسى الجوانب النفسية في حياتنا كالغرب الصناعي.

5 – رهانات التنمية:

تراهن التنمية في الوطن العربي عموماً على شقين أساسيين لا بد من توفيرهما من تحقيق بعد إستراتيجي يضمن للأجيال صيرورتها و التحكم في متغيرات المستقبل:

5 – 1 : التنمية على الصعيد الداخلي : يذهب مالك بن نبي في تشخيصه للتنمية ورهاناتها في الدول المتخلفة أنه يجب توفير أسباب الوثبة الاقتصادية التي تحقق أهداف المجتمع في تكريس سياسة تنموية تبعد بها عن خاثة المجتمعات المتخلفة، و تتمثل هاته الرهانات – بإيجاز – في :

5 – 1 – 1 : فلاحته و هي تزيد أو تنقص بدرجة وسائله البدائية : إن تحقيق الاكتفاء الذاتي يبدأ بالدرجة الأولى بالرجوع بالمجتمع الى النمط الاقتصادي السائد في المجتمع من القدم، و الراجح أن الجزائر – والمغرب العربي عموماً – كانت تعتمد بالدرجة الأولى الزراعة التي هي عصب الاقتصاد، وأن أية نهضة تستهدفها هاته الدول لا بد أن تأخذ بالزراعة في حسابها. وقد كان القضاء على النمط الزراعي الشائع في الجزائر عن قصد بغية تحطيم النظام الزراعي السائد، و تعويضه بالجانب الصناعي الذي أخذت منه الدول المتخلفة جانب استخراج المواد الخام ، و تركيز الصناعة في المدن من أجل تفريغ القرى من سكانها والقضاء المبرم على المجتمع، و تحويله من مجتمع يتضامن تضامن آلي إلى مجتمع يتضامن عضوي وبالتالي تنفك شبكة العلاقات الاجتماعية. و بالتالي فقدان التماسك الاجتماعي. وكان اهتمام مالك بن نبي بالفلاحة من أجل ضمان لقمة العيش الكريم لكافة أفراد المجتمع.

5 – 1 – 2 : ما يملك من مواد خام في السوق و في باطن الأرض : إن التخلص من الهيمنة الأوروبية ودول المركز باستغلال المواد الخام الموجودة وتخليصها من السيطرة الاستعمارية سواء كان ذلك بدأ بعملية التنقيب أو التحويل أو التصدير، ويرى أن من الواجب على دول العالم الثالث أن تحسن استغلال موادها الخام ليس أن تعمل على تصديرها خاماً من الباب، و تستورده مصنعا من النافذة... كل منتج نصدره إلى الخارج كما تنتجه الطبيعة يكون تصديره بالنسبة إلى الحالة الاجتماعية في بلد معين خسارة تحدد اقتصاديا ما يسمى (بلد متخلف)³⁹.

5 - 1 - 3 : العمل المتوقع الذي يمكن أن نحوله إلى واقع يعد بساعات العمل: تولي النظرية الاجتماعية في أدبيات التنظيم المؤسسة الحديثة جانب الاستثمار في الموارد البشرية عناية كبيرة لما له من دور فعال في تحديد نسبة نجاح المؤسسة اقتصاديا، لأن الاستثمار المالي وحده غير كاف لإنجاح التنمية دون الاهتمام بالجانب الاجتماعي ، فقد توفر لقمة العيش لفئة من المجتمع و نترك البقية أفواها تفغر أفواها بحثا عن لقمة العيش، تتوكل على ما تمنحه فئة " العمل المتوقع" وهي العمال الذين يشتغلون فعلا، مما تؤدي بها إلى الهجرة وتتركه من نزيف في طاقاته العاملة أو القدرة على العمل حين تهجر بحثا عن العمل، وهي غالبا ما تكون ذات كفاءة عالية⁴⁰.

أما المجتمعات التي تلجأ منذ البداية الى الاستثمار الاجتماعي للإنسان ومحاولة تطوير ذاته من خلال الإمكانيات المتاحة والطاقات الموجودة من خلال معادلة (الإنسان والتراب والزمن)، و يخلص مالك بن نبي إلى ضرورة أن تعي البلدان المتخلفة أن القدرة المالية وحدها لا يبني اقتصادا متينا، بل أن الاستثمار الحقيقي هو الذي يهتم بالجانب الاجتماعي ، أن ليس لها للخروج من مأزق التخلف إلا عن طريق الاستثمار الاجتماعي الذي يتيح لكل السواعد و لكل الأفواه أن تجد قوتها⁴¹.

5 - 1 - 4: أولوية الإنتاج على الاستهلاك: إن معادلتني (الحقوق و الواجبات) و (الإنتاج و الاستهلاك) من الأمور التي شغلت فكر مالك بن نبي الاقتصادي. ويوضح تأثيرهما على نمط و حياة المجتمع من خلال الصيغة الرياضية التالية:

$$\text{حق} + \text{واجب} = \text{صفر} . \text{إنتاج} + \text{استهلاك} = \text{صفر}$$

إن التخلص من التخلف و تبعاته السوسيواقتصادية يجب أن يبدأ من نبذ ذهان السهولة والاستكانة إلى الراحة والدعة، إلى التشمير عن سواعد الجد ومضاعفة الجهد، و الاهتمام بالإنتاج على حساب الاستهلاك.

5 - 2 : التنمية على الصعيد الخارجي :

5 - 2 - 1 : مراجعة أسعار المادة الخام في السوق العالمية : وهذا لأن الاستعمار من البداية ربط اقتصاديات الدول النامية باقتصاده، من خلال الزج بالمواد الخام الموجودة في هاته الدول في البورصات العالمية، أي سوف يؤدي حتما إلى انهيار الميزان التجاري في هاته الدول، لأن قيمة المبيعات لا تساوي شيئا من قيمة المقتنيات التي تفرضها الدول المصنعة. لذا نجد مالك بن نبي يحاول أن يفك العلاقة بين المواد الخام التي تملكها الدول النامية، وبين العملة المتداولة في السوق العالمية، والتفكير بجد ووضع آليات وتدابير جديدة تتماشى مع مكانزمات السوق لأنه من غير المعقول أن يشتري الغرب المواد الخام بالسعر الذي يراه، ويبيع سلعته كيفما يريد، لذا

يقترح "مصرف" المادة الخام " عوضا عن مصرف " العملة الصعبة " من خلال وضع تشريعات وقوانين يحمي أسعار المواد الخام من المضاربة، وذلك بتوحيد الجهود بين كافة الأطراف وتنسيق بينها في استراتيجيات التنمية لكي تتماشى مع هذا الطرح الجديد.

5 - 2 - 2 : التكتل الاقتصادي بين دول العالم الثالث: إن التكتل الاقتصادي بين الدول هو ميزة العصر الحديث كما هو موجود في أوروبا في صيغة (الاتحاد الأوروبي) و(الآسيان) بين دول آسيا، ويبقى الاتحاد هو صمام الأمان للدول الصغيرة لكي لا تلتهم من قبل التكتلات الكبيرة، وتعمل هاته الأخيرة على التفرقة بين الدول، والتعامل معها فرادى من أجل فرض شروطها على الآخر. وقد تظن المفكر مالك بن نبي الى قيمة التكتل وما ينجر عنه فائدة على المجتمعات المتخلفة. وقد تعرض مالك بن نبي الى فكرة (كومنولث إسلامي) باعتبارها موضوع بحث يرمي الى تخطيط وحدة جغرافية سياسية معينة أو الى مجرد معرفة نظرية للوقوف على معلومات أوسع بشأن هذه الوحدة يوجب أن يتضمن هذا البحث بعض الحقائق الأساسية والمقتضيات التي تميز موضوع البحث وتبرر الحل الذي يراود إيجاده.

ومن جملة الحقائق الأساسية هي احتفاظ العالم الإسلامي في المرحلة التي يجتازها الآن بـ (وحدته الروحية) التي تعد عاملا جامعاً أساسيا ومبدأ موحداً يجب أن يطبق، في أي مرحلة لتخطيطه تطبيقاً يناسب تجانس المشروع من الناحية السيكلوجية و تناسق عناصره من الناحية الفنية⁴². لذا يدعو مالك بن نبي الدول العربية الى توحيد الرؤية الاقتصادية تنظيراً و تطبيقاً و الدخول في الفضاء الاقتصادي العالمي ككتلة موحدة في شكل (السوق العربية المشتركة).

خلاصة و حوصلة:

قدّم مالك بن نبي إسهاماً يدخل ضمن إطار الفكر الحضاري عموماً، الذي يقدم للإنسانية جمعاءً فكرية تتركع من معينه أجيالاً يتعقبها الزمن، إذ أن سنية الطرح و عمقه لا يعدو أن يكون طرحاً متحيزاً لجهة دون أخرى، فهو فكر إذا ما تناولته أي جهة مهما موقعها و إيديولوجيتها فحليفها النجاح. ومن النقاط التي نوجزها في الخلاصة حول عملية التنمية عند ابن نبي ما يلي:

1 - الارتباط الوثيق بين التنمية والحضارة، فالتنمية كما يراها مالك بن نبي هي متطابقة مع فكرة الحضارة، ذلك أن النمو حضارة والتخلف انحطاط. والحضارة في جوهرها عند مالك بن نبي: " هي مجموعة الشروط المعنوية والمادية التي تتييسر لمجتمع معين أن يقدم كل فرد، في كل طور من أطوار وجوده، من الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه " أي أن التنمية عند مالك بن نبي تأخذ الثقافة كمحتوى وكوعاء لها لكي تضمن المشاركة الاجتماعية الكلية لها.

2 – إن التنمية هي عملية تغيير شاملة تستهدف الظروف البنائية و الوظيفية للمجتمع، فإن ذلك لا يكون إلا بالتكامل والتكامل مع جهات أخرى، أو داخل النسق نفسه في إطار التكامل بين أعضاء البلدان بين محور طنجة – جاكارتا. وتقوم الاقتصاديات الحديثة على فكرة التكامل والتبادل بين الدولة إذ لا تقوم مشاريع التنمية الكبرى على اقتصاد محلي بل تقوم على أسس علمية متينة، وعليه فإن التكامل بين دول العالم الإسلامي لإرساء ما يسميه مالك بن نبي بـ "الاقتصاد المشترك أو الموحد" صار ضرورة إستراتيجية لتحقيق الهبة الاقتصادية المطلوبة لتحقيق على الأقل الاكتفاء الذاتي، أي الحلقة الاقتصادية التي تستطيع الانغلاق على نفسها إذا اقتضت الضرورة الداخلية ذلك⁴³.

3 – ارتباط الجانب التنموي بالجانب الديني الذي يريد التطور والتقدم، إذ أن من شروط هذا الإقلاع أن يربط المخطط والمنظر للتنمية بين عقائد و ثقافة المجتمع المخطط له، وهي نفس القناعات التي انطلق منها المجتمع السوفييتي والصيني في تمثّل التنمية كآلية للخروج من التخلف. وقد ضرب مالك بن نبي مثالا عن بناء المسجد النبوي فقد كان الصحابة يحملون حجرا واحدا، وكان عمار بن ياسر يحمل على كتفيه حجرتين، فرآه الرسول – ص – فقال له : " لكل هؤلاء نصيب في الجنة وأنت لك نصيبان " فقد كان العامل الديني دورا محورا في دفع الصحابي الجليل الى حمل حجرتين مرة واحدة .

والجانب الروحي واستثمار الطاقة الروحية الكامنة في نفسية الإنسان المسلم لتحقيق الفعالية التي تعد أهم محور ركّز عليه مالك بن نبي في الدفع بالتنمية قدما صوب تحقيق غاياتها القصوى، وعكس ذلك ما أصاب الأمة من ذهان السهولة والصعوبة على حد سواء في تعطيل هذا المشروع الاقتصادي في محور طنجة – جاكارتا، هذا الجانب الروحي هو الذي أسس لحضارة الإسلام في قرونها الأولى، حيث فتحت الأمصار وشيدت دول وحضارات انطلاقا من الجانب الروحي القوي التي تتمتع بها دولة الإسلام.

4 – يرى مالك بن نبي أن وعي الجانب الاقتصادي لا يتم إلا من خلال وضع خطة تربوية في إطارها الثقافي يعيد من خلاله إلى الإنسان دوره الطبيعي في الحياة ويزوده بالأفكار الحية، الذي هو حجر الزاوية بالنسبة لأي إقلاع حضاري وتنموي يبقى في حاجة ماسة إلى إطار تربوي يخلق من خلاله ثقافة تنموية تكون فيها الأفكار الحية والنافعة دورا فعالا في خلق فرص التنمية والنهوض.

5 – الاهتمام بالجانب الفكري إذ يتجه هذا الجانب إلى تأطير عملية التنمية بآراء وتصورات فكرية تأخذ على عاتقها تمحيص ونقد المداخل والمذاهب الاقتصادية الكبرى واستثمارها في الواقع العربي والإسلامي، لنأخذ بمستويات الوعي الاقتصادي لتنمية المجتمعات المتخلفة وإعادة

صياغة النماذج الإنتاجية والاستهلاكية والتبادلية والتوزيعية وتحسين المواقف تجاه ركائز الاقتصاد وعلى رأسها المال. ويمكن إعادة الوعي التنموي للأمة في النقاط التالية:

أ/ التثمين الحقيقي لدور الكميات والأرقام في تحديد مجال التنمية مقابل الطاقات النفسية والاجتماعية الكامنة والتي تظل في مرحلة حبسية الاحتمال في حين تصير عند الإقلاع من عناصر الإمكان الاقتصادي.

ب/ إعادة الاعتبار للاستثمار الاجتماعي مقابل الاستثمار المالي والمادي.

ج / إعادة الاعتبار لوظيفة الادخار مقابل وظيفة الاستهلاك.

د / الوعي بعدم عدالة أنماط التبادل القائمة مما يستدعي أنماطا جديدة أو على الأقل التفكير في أنماط جديدة نابعة من التصور السليم للقيمة مادامت المذاهب الاقتصادية هي التي تصنع أنماط تبادلها.

6 — مراعاة الجانب الاجتماعي والمعيشي، إذ يؤكد مالك بن نبي على المستوى الاجتماعي أن توازن المجتمع بين الحق والواجب، بين الإنتاج والاستهلاك، هي المعادلة التي يستقيم من خلالها المجتمع ويحقق المعادلة الاجتماعية المطلوبة التي هي شرطا أساسيا من شروط النهوض التنموي.

و يقصد مالك بن نبي بالجانب المعيشي عن الحق في التأمين الاجتماعي، الذي ينطلق في تأمين حد الكفاف من العيش، فإن توفير لقمة العيش لحفظ النوع يعد طرفا حاسما فيما يسميه مالك بن نبي " بتحقيق الديناميكا الاقتصادية " إذ لا يمكن تصور اقتصاد تنمية بطريقة مستقلة عن اقتصاد متين لتحقيق القوت⁴⁴. والشعب الذي يقوم بعملية التنمية هو الشعب الذي يملك الحد الأدنى من قوته ليفعل آليات التعمير وسبل النهوض.

7 — الجانب السيكولوجي : أثر بُعد الإنسان المسلم عن دينه في مجال التشريع للمجتمع على الناحية النفسية للإنسان التي تتطلب نفسية مرتفعة تعلو من خلالها همم الأفراد والجماعات داخل المجتمع، وتركز المداخل الحديثة في التنمية على الجانب السيكولوجي كثيرا لما له من أثر على المردود التنموي كما يوضح ذلك (دافيد ماكيلاند)، و(دانييل لرنر) و(وافرت هيجن) في المدخل السيكولوجي للتنمية الذين يذهبون الى أن درجة الدافعية أو الحاجة الى الإنجاز هي الدعامة الأساسية للتنمية الاقتصادية، وأن تغيير الاتجاهات والقيم والسلوكيات تعد شرطا أساسيا لخلق مجتمع حديث.

8 – التأكيد على الجانب التخطيطي، فإذا كان التخطيط يعرف بأنه المواءمة بين ما هو مطلوب وما هو متاح عمليا، وهو يعني تعبئة و تنسيق وتوجيه الموارد والطاقات والقوى البشرية المتاحة لتحقيق أهداف اقتصادية أو اجتماعية متفق عليها. ومنه لا يمكن قيام عمل تنموي في غياب تخطيط علمي يسمح بتطبيق الخبرات والتجارب على الصورة المرجوة. لذا يؤكد مالك بن نبي على ضرورة الأخذ في الحسبان الإنعاش الزراعي والموازنة مع المتطلبات الصناعية والمتطلبات الزراعية بما يتماشى والإمكانات المتوفرة في العالم الإسلامي وبما يقتضيه سلم الأولويات في التنمية. وفي هذا المستوى يتحدث مالك بن نبي عن تخطيط التنمية بتحديد الأهداف النهائية والمرحلية وإحصاء الإمكانيات المتوفرة واللازمة بالطرق العلمية لا التخمينية، ووضع حسابات دقيقة للمراحل التي يجب أن تجتازها المرحلة، وتكييف ظروف الإسكان والمواصلات والتموين لمتطلبات التنمية.

9 – البعد الثقافي للتنمية عند مالك بن نبي، وهو طرح جديد بالنسبة لنظرية التنمية، إذ أن التكامل بين الإنسان والتراب والزمن، في تلاحم هاته الأعضاء بالدين، يؤدي إلى إيجاد الشروط المادية للحضارة، والتي تتمثل في إيجاد صيغة أخلاقية للحقوق والواجبات في المجتمع.

10 – توفير الإرادة للتنمية، فهي عكس الركود و التكديس والذرية والشيئية، إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه، وهذا بمقتضى قوله تعالى: (إن الله لا يغيروا ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). وإرادة التنمية هي محور الابتعاث وممكن القوة التغييرية لدى أي شعب. لأن الاقتصاد في عرف مالك بن نبي ما هو إلا إسقاط البعد السياسي على نشاط إنساني معين، فبقدر ما تبقى السياسة مرتبطة بمبادئ أخلاقية معينة، يبقى الاقتصاد وفيا للمبادئ ذاتها.

11 – ضرورة الإتحاد و التكتل من أجل بناء الحضارة بين الدول الإسلامية أو بين الدول العربية، فقد طرح مالك بن نبي فكرة " محور طنجة _ جاكرتا "، و فكرة " كومونولث إسلامي " والذي اهتدت إليه دول أسيا في ما يعرف بـ (دول الآسيان) أو طريقة (طيور الأوز)، فيما ما بقي المشروع يراوح مكانه بين الدول العربية كـ (مجلس التعاون الخليجي) أو (إتحاد المغرب العربي).

الهوامش :

¹ – مالك بن نبي، آفاق جزائرية، ط2، مكتبة عمار، مصر، 1964، ص 23.

² – مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ط2، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، دار الدعوة، القاهرة، 1970، ص43.

³ – مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1960، ص27.

⁴ – مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مرجع سابق، ص27.

- 5 — مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص 80.
- 6 — مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ط3، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1978، ص 36 .
- 7 — مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ط4، دار الفكر ترجمة عبد الصبور شاهين. إشراف ندوة مالك بن نبي. الجزائر، ص14.
- 8 — مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 153.
- 9 — مالك بن نبي، تأملات، ط5، دار الفكر، إشراف مالك بن نبي، الجزائر، ص 166.
- 10 — مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 70.
- 11 — مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع السابق، ص 74.
- 12 — مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد ، المرجع السابق، ص 74.
- 13 — مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، المرجع السابق، ص 77.
- 14 — عبد اللطيف عباد، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، ط1، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1984، ص 53.
- 15 — مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 91.
- 16 — مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 96.
- 17 — مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص 27.
- 18 — مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 38.
- 19 — مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 42.
- 20 — كمال التابعي، تغريب العالم الثالث، دراسة نقدية في علم الاجتماع التنمية، ط1، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر 1995، ص 151.
- 21 — مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 67.
- 22 — مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص 60.
- 23 — مالك بن نبي، تأملات، مرجع سابق، ص 125.
- 24 — مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 78.
- 25 — مالك بن نبي، شروط النهضة، ط6، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2006، ص 83.
- 26 — مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 101.
- 27 — مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 89.
- 28 — مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 79.
- 29 — مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 96.
- 30 — مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 105.
- 31 — مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 17.
- 32 — ملك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 96، ص 95.
- 33 — مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 108.
- 34 — مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 112.
- 35 — مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 135، ص 136.
- 36 — مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 135.
- 37 — مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 140.
- 38 — مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 140، ص 141.
- 39 — مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، مرجع سابق، ص 188.
- 40 — مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، مرجع سابق، ص 194.
- 41 — مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، ص 62 .
- 42 — مالك بن نبي، فكرة كومنولث إسلامي، ط6، دار الفكر ، دمشق، سوريا، 2006، ص 12.
- 43 — مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، مرجع سابق، ص 107.
- 44 — مالك بن نبي، بين الرشاد و التيه، مرجع سابق، ص 161.